# أسلمة العلوم الإنسانية من منظار إسماعيل الفاروقي - تحليل وتقويم -

د. السيد محسن ميري الحسيني[١]



## مدخل:

كانت بداية طرح مسألة أسلمة العلوم في سنة ١٩٦٠م، ويمكن أن نجد جذور هذه المسألة (أسلمة العلوم) قبل هذا التاريخ (١٩٦٠م)، فعلى سبيل المثال نجد السيد عبد الأعلى المودودي مؤسّس الجماعة الإسلامية في باكستان يتناول هذا الموضوع[٢].

وبعده نجد السيد حسين نصر يتناول هذا الموضوع بشكل مختلف في كتبه، مثل: (العلم والتمدّن في الإسلام، والمثالية والواقعية في الإسلام والحاجة إلى العلم المقدّس)، فقد تناول هذا الموضوع واعتنى به. وبعده تناول هذا الموضوع أيضاً محمد نقيب العطّاس، وإسماعيل راجي الفاروقي، وطه جابر العلواني، وعبد الحميد أبو سليمان، ولؤي صافي، وضياء الدين سردار... وفي الفترة الأخيرة تمّ الاهتمام بهذا الموضوع في إيران.

وكان إسماعيل راجي الفاروقي (١٩٢١- ١٩٨٦م) من أوائل من بحث

(١) أستاذ في مركز تحقيقات جامعة المصطفىﷺ العالمية، من إيران.

(٢) موتن، عبد الرشيد: الفكر الإسلامي في باكستان، تراث العلامة المودودي، فصلية التحقيقات الإقليمية، العدد٢ ، صيف وخريف ١٣٨٨هـ. ش(بالفارسية).

في هذه المسألة، وما زالت آراؤه محلّ عناية من قِبَل المفكّرين. وما نحن بصدده في هذه المقالة بحث نظرياته في هذا المجال وتحليلها وتقويمها.

إنّ الفاروقي وغيره اعتقدوا أنّ الطريق لحلّ تخلّف المسلمين يكمن بتغيير المناهج التعليمية، وجعل الفكر والنهج الإسلاميين حاكمين على النظام التعليمي؛ لأنّ النظام التعليمي يعتمد بالأساس على تلك المناهج، وعلى البناء والإدارة التعليمية الجيّدة.

وعليه، فلا بدّ من أسلمتها من جميع الجوانب. وأمّا الطريقة المناسبة لتحقيق هذا الغرض فهي التزام الأصول الإسلامية الخمسة الحاكمة على العلم، وأيضاً المراحل الإثني عشرة الواجب إتباعها في صناعة المتون وكتابتها. والتحقيق هنا، يبحث بحثاً نقدياً في نظرية الفاروقي المتقدّمة، حتى تتّضح أهمّ العقبات والمشاكل التي تواجهها. وينبغي الإشارة هنا إلى أنّه بحث هذه المسألة في العلوم الإنسانية، ولم يبحثها في العلوم التجربية والرياضية.

والمقصود من أسلمة العلوم في نظرية الفاروقي، أسلمة العلوم الإنسانية المعاصرة والتي يتمّ تناولها في عالمنا المعاصر، فهو يعتقد بأنّنا إذا أردنا أن نؤسلم المجتمع فلا بدّ من أسلمة العلوم والتراث الإسلامي من خلال قراءته قراءة إسلامية.



## أوّلاً: مشكلات العالم الإسلامي وضرورة أسلمة العلوم:

إنّ السبب الذي دعا الفاروقي إلى البحث في أسلمة العلوم هو الأمر عيّنه الذي يؤرّق العلماء المسلمين الآخرين، وهو التخلّف الذي يعاني منه المسلمون عند مقايستهم بالغرب، ورواج الأفكار التي تدعو إلى عدم تدخّل الدين في السياسة (Secularism) في المجتمع الإسلامي.

ويرجع هذا التخلّف إلى الزمان الذي سيطر فيه الاستعمار على الدول الإسلامية، بعد دخول نابليون بونابرت إلى مصر، وسيطرة بريطانيا على شبه القارّة الهندية.... حيث رأى مجموعة من العلماء والمفكّرين

الإسلاميين؛ كالسيد جمال الدين الأفغاني، والشيخ محمد عبده، والسيد أحمد خان الهندي، و.... في أن يجدوا حلاً لهذه الظاهرة. وكان طريق الحلّ يكمن في إصلاح النظام التعليمي. ولكنّ الفهم السطحي والنادر للمسألة آنذاك لم يساعد البعض لأن يفعلوا شيئاً في هذا المجال. حيث كان البعض يعتقد أنّ العلم الغربي كامل، وخالي من النقائص، وخالي من أيّ تعارض، ومن دون أي تعمّق في هذا الفكر كانوا يعتقدون بضرورة نقل هذا العلم إلى البلدان الإسلامية، من جهة أنّ المسلمين إذا نشروا العلم الغربي بينهم، وتعلّموا العلم الغربي، وعملوا به فسوف تُحلّ جميع مشاكلهم.

ولكن هذا التصوّر تصوّر سطحي ليس إلا؛ لأنّ الفكر الغربي أقام أكثر قواعده على أساس عدم تدخّل الدين في السياسة (Secularism)، ومن جهة أخرى نجد أنّ الفكر الغربي يعاني من مشاكل عدّة فنظرة هؤلاء العلماء للعلوم الغربية من جهة واحدة تُعدّ في حدّ ذاتها إحدى تلك المشاكل.

ومن جهة ثانية، نجد أنّ معرفة المسلمين للعلوم الغربية لم تحلّ المشاكل الرئيسة فحسب، بل أدّت إلى حدوث مشاكل جديدة، فإنّ الشباب المسلمين عندما سافروا إلى الغرب وتعلّموا العلوم التجريبية والإنسانية الجديدة تغيّرت طريقة حياتهم بالتدريج، وبدأت تتغيّر باتّجاه عدم تدخّل الدين في السياسة (Secularism)، وغيّرت تلك العلوم طريقة تفكيرهم، وحلّت الروحية والذهنية الغربية مكان النظريات والاعتقادات الإسلامية للعالم؛ ما جعل هذا الفكر المسلمين مرتبطين بالغرب، فحتى لو خرج من بلدانهم؛ فإنّ هذا الإطار الفكري الاستعماري سيبقى في بلاد المسلمين كما هو.

ومن جهة أخرى، نجد أنّ هذا الفكر لم يؤدّي إلى التقدّم المنشود للمسلمين؛ لأنّه كان مقتصراً على مجموعة اجتماعية خاصّة فهو مناسب لهذه المجموعة. أضف إلى ذلك أنّه قام بإرعاب الآخرين وسلبهم اعتمادهم على أنفسهم.

وهذا الأمر أدّى إلى فقدان التعليم والفكر الإسلاميين لمكانتهما وكونهما محوراً، فوجدنا أنّ بعض المسلمين في المجتمعات الإسلامية ينظرون بنظرة سيئة للإسلام، والعلوم الإسلامية، والنظام التعليمي الموجود. فعندما دخل النظام التعليمي الغربي إلى المجتمع الإسلامي حصل تقسيم جديد للعلوم: فهناك العلوم القديمة والعلوم الجديدة. وهذان الوصفان يحملان قيم وأيديولوجيّات كاذبة ومضلّلة. وفي هذا الإطار تكون العلوم الغربية جديدة ومتطوّرة وتقدّمية وعقلانية ومقبولة. وعليه فلا بدّ من اتّباعها. وفي المقابل نجد الخصوصيات القديمة والمتخلّفة للطرف الثاني. وعليه فإنّ هذا النظام التعليمي يقوم بفصلنا عن هويتنا وتاريخنا.

إنّ إصلاح النظام التعليمي الغربي مُنِيَ بالفشل، ولم يستطع أن يحقّق أهدافه. فقد جعل من المسلمين مجموعة مقلِّدة للآخرين، بخلاف المفهوم القرآني الخاصّ الذي يجعل من المسلمين الفئة الأعلى في البشرية[1].

وعليه، فمن جهة أدّى بالمسلمين إلى نوع من التخلّف، ومن جهة أخرى هناك تضادّ بين التفكّر الذي يدعو إلى عدم تدخّل الدين في السياسة (Secularism) والقيم الجديدة التي تسيطر على الفكر الغربي وبين العالم الإسلامي والقيم الدينية التي تحكم العقلية الإسلامية.

ومشكلة المجتمعات الإسلامية لا تنتهي عند هذا الحدّ، بل إنّها في المجال السياسي بدأت تعاني التقاتل الداخلي الذي أوجدته القوى الكبرى، وما زال مستمراً إلى يومنا الحاضر، فالأمّة الإسلامية، وبدلاً من أن تكون أمّة واحدة، نجدها انقسمت إلى أكثر من خمسين دولة، وكلّ بلد له حدود معيّنة، وبينها اختلافات حدودية. ومن الواضح أنّ هذه الدول تحتاج لأموال طائلة لحماية حدودها، وإلى الكثير من الإمكانيات المالية والعسكرية التي ستبتلي بها هذه البلدان.

(١) ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ﴾ (آل عمران: ١١٠).

وأمّا في المجال الاقتصادي، فنجد أنّ البلدان الإسلامية تعاني من موضوع عدم توزيع الثروات بشكل عادل، فعلى سبيل المثال نجد أنّ أكثر منافع النفط في الدول الإسلامية هي بيد جماعة قليلة، ويقومون بصرفها في المسائل غير الضرورية، في الوقت الذي يعاني فيه المسلمون في مناطق أخرى من الفقر والمشاكل الاقتصادية الأخرى.

وأمّا في مجال العلوم المتقدّمة، فنجد أنّه لم يحدث أيّ تقدّم تقني بين المسلمين. وأمّا في المجال الثقافي فنجد أنّ المسلمين يعانون أيضاً من مشكلات عديدة، مثل: الأمّيّة، والاعتقادات غير الصحيحة، ورواج الشبهات التي يبثّها الغرب بينهم ضدّ الإسلام من خلال الأفلام والقصص...، وفي الأجهزة المختلفة، وتؤثّر كلّ هذه الأمور آثاراً سلبية، كالتخويف من الإسلام، والاتّهامات الأخرى التي وجّهوها ضدّ الإسلام وما زالوا[1].





## ثانياً: أسلمة العلوم وإصلاح النظام التعليمي:

يعتقد الفاروقي أنّ ما فهمه الشيخ محمد عبده والسيد أحمد خان الهندي كان فهماً صحيحاً، وأنّ المشكلة الأساس والرئيسة تكمن في النظام التعليمي، فإذا أصلحنا نظامنا التعليمي، فإنّ فهم أفكار الناس سوف يصلح، وسيؤدّي ذلك إلى حلّ المشاكل والمعضلات. ولكنّ هناك مشكلة في اعتقاد هؤلاء الأكابر، وهو عدم الفهم الصحيح لماهيّة الفكر الغربي وحقيقته، وأيضاً واقع النظام التعليمي والمسير الذي ينبغي أن يمرّ فيه النظام التعليمي؛ ما يؤدّي إلى فشل هذه النظرية[2].

وحتى لو افترضنا أنّ أهمّ الأعمال الأساسية هو لزوم تغيير النظام التعليمي فيأتي هذا السؤال وهو: كيف سيتمّ هذا الإصلاح؟ فهل الرجوع

(١) الفاروقي، إسماعيل راجي: أسلمة المعرفة -المبادئ العامة وخطة العمل-، ترجمة عبد الوارث سعيد، الكويت، دار البحوث العلمية في الكويت، ١٩٨٣م، ص٦-١٠.

(٢) م.ن، ص١٠-١٥.

إلى النظام القديم يستطيع أن يكون هو الحلّ، بحيث يفتح لنا آفاقاً للحلّ أم أنّه لا بدّ من إيجاد نظام جديد؟ ويعتقد الفاروقي أنّ النظام القديم غير قادر أصلاً لوحده أن يحلّ هذه المشكلة؛ من جهة أنّ هذا النظام فيه نقاط ضعف في طرقه، وبهذا لا يستطيع أن يواجه تلك المشكلات. وقد حدّد تلك العلل ونقاط الضعف والتخلّف الكثيرة في النظام التعليمي القديم في مجموعة من الأمور:

### ١- انحصار الفقه في علم خاص:

يرى الفاروقي أنّه، وإلى يومنا هذا، نجد أنّ الإطار الحاكم على النظام التعليمي القديم في الاستنباط والاجتهاد قائم على علم واحد من العلوم الإسلامية، وإن كان للفقه في المراحل الأولى للإسلام معنى أوسع، حيث كان للصحابة والتابعين نظرة أوسع إلى الموضوعات والعلوم الإسلامية، التي تتطوّر تدريجياً، وبعد مدّة من الزمن أصبح الفقه يُطلَق على الاستنباط والاجتهاد في الأحكام؛ وبذلك أصبح فهم الدين منحصراً في هذا العلم، وأصبح نظر العلماء منصّباً على هذا العلم، وغفلوا عن العلوم الأخرى.

ومن هنا، واجه علم الفقه مشكلة محدوديّة المصادر والطرق في مواجهة المسائل المستحدثة، مع أنّنا نجد أنّ العلماء والفقهاء المتقدّمين كانوا في علوم الكلام والتفسير والعلوم التجريبيّة و... قادرين على الاجتهاد وحلّ المعضلات التي كانت تواجه مجتمعاتهم.

وعلى هذا، فإنّ المشكلة الرئيسة تكمن في انحصار الفقه في علم واحد (علم الشريعة)، وتمحور علماء الدين حول هذا الأمر. ولحلّ هذه الإشكالية ينبغي على الفقه أن يرجع كما كان، ولتحقيق أسلمة العلوم ينبغي أن نفهم الدين ونواجه المعضلات في إطار الاجتهاد والفقه بالمعنى العام؛ لأنّ التركيز على الفقه يؤدّي إلى تخلّف علماء المسلمين عن العلوم الجديدة.

## ٢- الاعتقاد بتعارض الوحي والعقل:

يعتقد الفاروقي أنّ عقيدة تعارض العقل والدين ترجع إلى الفكر اليوناني الذي ترك آثاره على اليهودية والمسيحية. والعلماء المسلمين؛ كالفارابي الذين حاولوا الدفاع عن الدين من خلال الاستفادة من علوم اليونان؛ كالمنطق. ولكنّهم لم يستطيعوا أن يستفيدوا منها بشكل صحيح. فالفارابي جاء بالسنن الغربية للعالم الإسلامي في قالب مفهومي، ولكنّ ذلك أدّى إلى نشوء نظرية تعارض العقل والوحي، وما زال المسلمون يعانون منها إلى يومنا هذا؛ وهو ما أدّى إلى انحطاطهم. وإنّ المتكلمين والمفكّرين الإسلاميين لم يكونوا يعتقدون بتعارض العقل والوحي إلى أن جاء الفارابي، والفكر اليوناني الذي كان ينبغي أن يقوم بحماية النظريات الإسلامية، أصبح سبباً لتخلّفهم، وأسّس طرق التصوّف، وهو ما أدى إلى الانحطاط ومضاعفة المشاكل التي يعاني منها المسلمون[١].

يرى الفاروقي أنّ روح القرآن والإسلام تدعو الإنسان إلى العقل، وليس كلّ عقل، بل العقل النقّاد الذي يقوم بالتحليل والتقويم. فالقرآن يدعو الإنسان إلى الانسجام الفكري والاعتقاد اليقيني والبحث عن الحقيقة. وعلى المسلم أن يؤمن بالوحي على أساس العقل، وإلا لو كان اعتقاده مبتنياً على المزاج الشخصي؛ فإنّ هذا الإيمان لا قيمة له، وسوف لن يستمرّ.

إنّ العقل القرآني يختلف عن العقل اليوناني، فالعقل اليوناني، ومن خلال الأفكار الصوفية أوجد مصدراً جديداً للمعرفة سمّاه(العقل الحدسي)، وهو ما أدّى إلى تلويث العقل القرآني غير الملوّث، وإلى إيجاد الخرافات.

إنّ الفاروقي يعتقد أنّ العقل الحدسي سوف يؤدّي بنا إلى أل-Materialism، وهو مبدأ يعتقد بمادّية كلّ شيء في هذا العالم، وهو لم

(١) الفاروقي، أسلمة المعرفة، م.س، ص٢٤-٢٨.

يوضّح مراده من العقل الحدسي، ولكن يمكن فهم مراده من خلال أنّه يفهم العقل من خلال نظريات الغزالي والآخرين لم يقبلوا العقل اليوناني.

### ٣- التفريق بين الاعتقاد والعمل بين المسلمين:

يعتقد الفاروقي أنّ قادتنا في العصور الإسلامية الأولى -وهي الفترة المزدهرة التي كان فيها دين الإسلام فعّالاً ومؤثّراً- كانوا يمسكون بزمام جميع الأمور السياسية والاجتماعية، وفي الوقت نفسه نجدهم مفكّرين، ومجتهدين، ومتكلّمين، ومحدّثين، ومدرّسين، وقارئين للقرآن، وقادة عسكريين، وقادة اقتصاديين.

ومن هنا، فإنّهم كانوا عاملين على كافّة المستويات، بحيث إذا واجهت المجتمع الإسلامي مشكلة؛ فإنّ الحاكم يحسّ بالمشكلة بتمام وجوده ويعمل على إصلاحها. وبذلك لا تحصل فاصلة كبيرة بين الفكر والعمل، بخلاف ما لو قامت جماعة بتناول المشكلة من الناحية النظرية، ولكنّهم ليسوا من أهل العمل. وفي المقابل نجد فريقاً آخر من أهل العمل، ولكن ليس لهم باع في الفكر.

إنّ الأئمّة والقادة يوصلون الفكر إلى مرحلة العمل، فإذا نجح هذا العمل، فإنّ الغرض يكون قد تحقّق، وفي غير هذه الحالة فإنّه يقوم بإجراء إصلاحات على الفكرة، ولأنّ الفوارق بين الفكر والعمل قليلة؛ فإنّه يستطيع إيجاد التوازن المطلوب.

إنّ الفاروقي يرى أنّه في الفترة الإسلامية الأولى التي حدث فيها انبعاث التمدّن الإسلامي كانت الأبحاث النظرية وغير العملانية؛ كالبحوث التي تبحث عن ما وراء الطبيعة المحضة موجودة، ولكنّ حجمها محدوداً، وليست لها منظومة معرفية معتدّاً بها. وعليه، فإنّ العقلانية الإسلامية متوجّهة إلى العمل، فالعقلانية تعمل على خدمة الأهداف الدينية، وتؤدّي إلى تحقيق الأمن والتديّن والسلامة والرفاهية للمجتمع الإسلامي، ولأنّ الشعب مع الحكومة نجد أنّ مشاكل الناس تُحلّ بسرعة؛ لأنّ تلك المشاكل

والمعضلات تنتقل إلى قادتهم المفكّرين وهم يقومون بحلّها.

ومع مرور الوقت حصل الافتراق بين العلم والعمل، وقُطِعَت العلاقة بين القيادة السياسية والإجرائية مع العلم، وحدثت المشكلة؛ لأنّ القائد السياسي والإجرائي يعيش في ظلمة الجهل. وبهذا يرتكب الأخطاء؛ لأنّه لا يستطيع إيجاد الحلول المناسبة للمشكلات، بل يستفيد من التعاليم الخاطئة، وتكون النتيجة تعقيد المشكلات بدلاً من حلّها. وبعد ذلك على الحاكم أن يُوجِد المبرّرات لأخطائه، ويقاوم الانتقادات التي تُوجَّه له حتى يستطيع حفظ ماء وجهه. وكلّ هذه الأمور تؤدّي إلى بروز أخطاء أكبر من التي سبقتها.

ومن جهة أخرى، فإنّ تفرّق العلم عن العمل سيؤدّي بالعلماء إلى البحث في المسائل النظرية البحتة التي ليست فيها أيّ فائدة للمجتمع.

ووجدنا أنّ بعض العلماء تخلّوا عن المعايير الأخلاقية والاعتقادية، وقاموا بالتعاون مع الحكومات الفاسدة، وتلوّثوا بقذارة السياسة؛ ما أدّى إلى ضياع القيم الإسلامية والأطر النظرية للإسلام. وكانت النتيجة أنّ القائد السياسي والاجتماعي الذي له ارتباط بالعمل وجد نفسه غير محتاج للفكر الأصيل، وبدأ يسير في طريقه لوحده. وفي النتيجة تكوّنت الحكومة الاستبدادية، وحلّت المصالح الشخصية محلّ مصالح الناس والأهداف الدينية.

ومن جهة أخرى، وجدنا أنّ الناس والمفكّرين، وبسبب الافتراق عن الحكّام، ذهبوا خلف الأبحاث النظرية المحضة، والطرق العرفانية والصوفية – التي لها جنبة شخصية وفردية. ولهذا نجد أنّ الحكومات لا تهابها–، وتحوّل فكر المسلمين إلى بحث المسائل الميتافيزيقية والانتزاعية، والموضوعات التي تبحث داخل النفس الإنسانية والشهودية، والمفاهيم الأخلاقية الشخصية، وتهذيب النفس. وعليه، فإنّ التوازن والتعامل الذي كان ينبغي أن يحصل بين المادّة والمعنى، والذي أكّدت عليه النظرية الإسلامية تلاشى وتغلّب عليه الفكر الباطني الانتزاعي

والمعنويات والتوجّه للآخرة. وأمّا الجانب الاجتماعي والتفكير بالتقدّم و... فقد قلّ الاهتمام بها.

وهذا الموضوع نجده جليّاً في العلوم التي فيها جنبة عملية؛ كالفقه، حيث نجد العلماء في أبحاث الفقه والاجتهاد لا يولون للعمل الاجتماعي أهمّيّة؛ وذلك بسبب افتراق الفكر الإسلامي عن الواقع، وبالتدريج حصل الافتراق مع العقلانية الإسلامية. ونتيجة ذلك حصلنا على فقه ظاهري وغير عقلي يؤكّد على الظواهر من دون أن يولي اهتماماً للأهداف والحكمة التي من أجلها شُرِّعت هذه الأحكام.

وأمّا بقية العلوم؛ كالتفسير، والسياسة، فلم يكن مصيرها بأفضل من مصير الفقه. ففي مجال التفسير انحصر الفكر في الأمور التخمينية والحدسية، وأمّا في مجال السياسة فبسبب انحراف الحكّام عن الطريق الصحيح فقد أصبح التدخّل في الشأن السياسي من قِبَل العلماء أمر لا قيمة له وغير صحيح ومعيب؛ وبذلك ضاع التوازن بين القيم الفردية والاجتماعية[١].





### ٤- الفصل بين الأمور الدينية والمسائل الثقافية:

كانت الأبحاث الثقافية في المجتمع الإسلامي - إلى ما قبل مرحلة الانحطاط - مرتبطة بالأبحاث الدينية، لتأثّرها بالتعاليم الدينية، وانضواء الثقافة ضمن الإطار الديني، وكانت تلقي بأثرها على أفعال الإنسان المسلم وتهديه إلى الصراط الإلهي المستقيم في جميع المجالات الفردية والاجتماعية، ولكن، ومع حدوث التفريق بين النظرية والعمل، والتفريق بين الطريق الإلهي والفضيلة والمعنويات والآخرة عن طريق الدنيا، أصبح انتخاب أيّ من الطريقين؛ بمعنى عدم الالتفات للطريق الثاني، مع أنّ النظرية الإسلامية تؤكّد على اندماج الطريقين. وبعد التفريق بين المنهجين أصبح كلّ من الطريقين يؤدّي إلى الانحطاط.

(١) الفاروقي، أسلمة المعرفة، م.س، ص٢٨-٢٩.

فالأشخاص الذين اتّخذوا الطريق الأوّل وانعزلوا عن الحياة الاجتماعية مهّدوا للاستبداد وإعطاء الحكم للآخرين الذين أسّسوا لنظام غير أخلاقي، ومهّدوا بعملهم لأن يسيطر الظالمين ويحقّقوا مآربهم الشخصية. وحيث إنّ الأغراض الشخصية توسّعت فأدّى ذلك إلى التحلّل، ولم يعد بالإمكان السيطرة عليها. والنتيجة كانت حصول التفريق بين الناس والسلطة، وهذا ما أدّى إلى أن يعتبر الناس الحكومة غريبة عنهم، وكانت هذه الحالة السبب في سيطرة الاستعمار؛ لأنّ الناس تعتقد أنّ كلاهما فاسد، ولهذا لم يكن لديهم الدافع لمواجهة الاستعمار.

إنّ سيطرة الاستعمار بشكل مباشر أدّت إلى تغلغل الثقافة وطرق العيش والنظام التعليمي الجديد الغربي إلى المجتمع الإسلامي، ما نجم عنه نتائج كارثية على المسلمين[١].

## ثالثاً: الطريق لحلّ مسألة إصلاح النظام التعليمي:

وبعد أن عرفنا أنّ الرجوع إلى النظام التعليمي القديم ليس بالحلّ الأمثل لحلّ المشكلة، فما هو الحلّ إذاً؟ إنّ الحلّ في نظر الفاروقي يكمن بإدغام كلا النظامين الغربي والقديم، وجعل النظرية الإسلامية والقيم الإسلامية حاكمة على النظام التعليمي، من خلال التعرّف على التمدّن الإسلامي، وتأليف مناهج في العلوم الإنسانية.

إذن من أجل تحقيق هذا الأمر المهمّ لا بدّ من القيام بأمرين أساسيين: أوّلاً: ينبغي إدغام كلا النظامين الغربي والقديم، واستخراج نظام جديد يحمل نقاط القوّة في كلا النظامين، وتخليصه من نقاط الضعف التي كان يحملها كلّ من النظامين القديمين[٢]. وأن يتمّ انتخاب الأستاذ على أسس ومعايير مقبولة، وأن يصار إلى الاعتناء بموضوع الأخلاق

(١) الفاروقي، أسلمة المعرفة، م.س، ص١٠-١٥.

(٢) إنّ نظرية الفاروقي هذه ليست جديدة، وكان قبله بعشرات السنين دعوات في إيران وغيرها من البلدان الإسلامية تحمل النظرية نفسها، ومن أجل تحقيق هذا الأمر قاموا بتأسيس مدارس إسلامية جديدة.

الإسلامية والآداب الإسلامية، والاستفادة من المناهج المناسبة. وهذا النظام يشمل جميع مراحل الدراسة من الابتدائية إلى الجامعة.

وعليه، فإذا أخذنا أنموذجاً من النظام القديم؛ فإنّنا نجد فيه نقاط ضعف كثيرة، من بينها: عدم كونها مناهج دراسية، وعدم وجود الجاذبية بالنسبة للمخاطبين... فينبغي تغييرها؛ لأنّ أكثر المناهج الدراسية في النظام القديم هي مناهج تحقيقية ومليئة بالعبارات المغلقة والمعقّدة. نعم توجد فيها بعض النكات الجديدة. ولكن، ولعدم مراعاة مسألة القواعد التعليمية، فهي غير مناسبة لأن تكون منهجاً درسياً. والعيب الآخر فيها هو أنّ بعضها أصبح كتاباً مقدّساً، ومجرّد تعلمه يعتبر شيئاً مهّماً.

ثانياً، ينبغي أن تكون النظرية والقيم الإسلامية حاكمة على هذا النظام التعليمي. وتفصيل هذه النقطة سوف يأتي لاحقاً.

ففي هذا النظام التعليمي ينبغي على طلبة الجامعات وغيرهم في المراحل الدراسية المختلفة أن يتعلّموا الأحكام الإلهية والنظام الأخلاقي، وكذلك التاريخ والثقافة الإسلامية، ويطّلعوا على سابقة التمدّن الإسلامي؛ لأنّ هؤلاء لو علموا أنّ المسلمين الأوّلين-في القرن الثاني والثالث مثلاً- كانوا هم حملة راية العلم والتقدّم والأخلاق، فسيتكوّن عندهم إحساس بهويّتهم، وتظهر عندهم حالة الاعتماد على النفس، ويعتقدون أنّ بإمكانهم أن يقوموا بأعمال كبيرة كهذه. ومن خلال الطرق المتطوّرة، سوف يطّلعون على الطرق التي يواجهون بها المشاكل مستفيدين في ذلك من تجارب السابقين، للخروج من المعضلات التي ستواجههم في الحاضر والمستقبل. وتأسيس نظام كهذا يحتاج إلى الدعم الكبير؛ المالي، والقانوني، من السلطات الحاكمة.

وأمّا المرحلة التالية لأسلمة النظام التعليمي، فتتمثّل في أسلمة الفكر والمعارف وهي أمر أكبر من الخطوات السابقة، وتهتمّ بمحتوى المناهج الدراسية. ففي المراحل السابقة كان التركيز على تأسيس مؤسّسة اجتماعية تعليمية جديدة، ولكن في هذه المرحلة المطلوب إدخال

المفاهيم الإسلامية الخاصّة في العلوم الإنسانية حتى نتمكّن على هذا الأساس أن نؤلّف مناهج جديدة. فقبل الشروع في تأليف منهج لا بدّ أولاً من إنشاء الفكر، وهذه المرحلة بحاجة إلى طي مراحل متعدّدة تحتاج إلى إحداث تغييرات في العلوم الجديدة والقديمة؛ لأنّ العلوم القديمة عندنا تعاني من مجموعة من النقائص، ولم تستطع حلّ المشكلات الجديدة التي واجهت الأمّة الإسلامية[١].

وعلى هذا الأساس، تحدث في بعض الأحيان بعض التغييرات والحذف، وفي هذه المرحلة تتكوّن مفاهيم العلم الجديد على أساس النظرية الإسلامية، وفي الإطار الإسلامي، والقيم الدينية، والعقدية، وأيضاً يتمّ تقويمها علمياً، وبيان محلّها من جديد، وإعادة قراءتها وتفسيرها وترتيبها؛ من جهة أنّه في الجغرافية المعرفية يكون تغيير أمكنة المحتوى له بالغ التأثير.

وأيضاً ينبغي إعادة النظر في الطرق المتّبعة في العلوم الجديدة، وكذلك الأهداف؛ إذ يجب أن تكون على أساس النظرية الإسلامية. وأن تُؤلَّف المناهج الدراسية على أساس الفهم الإسلامي، وينبغي أن يكون المدرّسون مهيّئين وحائزين على شروط تمّ تبيينها سابقاً، وأن يكون تدريسهم على ذلك الأساس. وعليه، فإنّ الطالب في نظام كهذا ينبغي أن يكون مدعوماً من قِبَل الحكومة؛ لكي يساعده ذلك في الحصول على تلك العلوم[٢].

## رابعاً: أسلمة العلوم وتأليف مناهج العلوم الإنسانية:

المباني والأصول الإسلامية في تأليف العلوم في مجال مناهج العلوم الإنسانية:

في أسلمة العلوم الإنسانية: ما هي الأصول والمباني التي ينبغي

(١) إنّ الفاروقي هنا يبتعد عن السيد نقيب العطاس الذي يعتقد بأنّنا في أسلمة المعرفة لا نحتاج إلى التغيير أو الحذف في المناهج الإسلامية القديمة.

(٢) الفاروقي، أسلمة المعرفة، م.س، ص١٥–١٩.

اتّباعها؟ إنّ الفاروقي أوصى بخمسة أصول في هذا الصدد: وحدانية الله، ووحدة المخلوقات، ووحدة الحقيقة، ووحدة المعرفة، ووحدة الإنسانية.

### أ- وحدانية الله:

استناداً على النظرية الإسلامية؛ فإنّ الله تعالى هو خالق الخلق لا شريك له، وكلّ الصفات الجيّدة فهي من الخالق الواحد تعالى. وقد خُلِقَ هذا العالم لهدف خاصّ، وكلّ شيء في هذا العالم يتحرّك باتّجاه الله، وهذا ما يُعبَّر عنه بالتوحيد الفاعلي. والعالم قائم على قانون، ويسير على أساس السنن التكوينية الإلهية، وبالإضافة إلى عالمنا المحسوس هذا هناك عوالم تشتمل على خلق الله تعالى، كالملائكة...، ولا يوجد أيّ شيء خارج عن هذا النظام الإلهي، وجميع الحقائق في هذا العالم قائمة عليه، ولا يوجد شيء خارج عن هذا النظام.

### ب- وحدة الخلق:

إنّ النظام في هذا العالم واحد ومنسجم، ولا يوجد فيه ثنائية، وجميع أجزاء هذا العالم مرتبطة بعضها بالبعض الآخر، ويؤثّر بعضها على البعض الآخر، حيث إنّ تكاملها مرتبط بالعناصر الأخرى؛ لأنّها جميعاً ناشئة عن علّة واحدة، والأمور التي تنشأ من منشأ واحد لا يمكن أن تكون غير مرتبطة مع العناصر الأخرى. ومن جهة أخرى، لأنّ هدف جميع المخلوقات هو الله فهناك ارتباط يرجع إلى الغاية يربط في ما بين هذه الأجزاء. وهذه القوانين ليست مادّية وتكوينية فحسب؛ لأنّ الباري تعالى عندما خلق الخلائق جعل قوانين تتناسب مع بنية هذا العالم والإنسان، وهي قوانين تنسجم مع تكوينهم وفطرة الإنسان. والباري تعالى حي، قيّوم، ومدبّر، يدير أمور هذا العالم لحظة بلحظة.

إنّ الهدف من إيجاد الألف هو الباء، وهدف الباء هو الجيم... فإنّ هدف كلّ هذا النظام هو الله. وعلى ذلك، فإنّ أجزاء العالم كلّها مرتبطة

بعضها بالبعض الآخر بنحو من الأنحاء؛ لأنّ علّة وجودهم وهدفهم مرتبطين بعضهما مع البعض الآخر، وبما أنّ موجودات هذا العالم كثيرة؛ فالارتباط في ما بينها أيضاً يكون بأشكال كثيرة وغير منتهية. وحيث إنّ إمكان اكتشاف قوانين هذه العلاقة غير متناهية بالنسبة للإنسان، فتعلّمها يمكن أن يكون غير متناهٍ. ففي النظرية الإسلامية: إنّ العلم في حقيقته ليست له نهاية، وعلى هذا الأساس؛ فإنّ الإسلام يعطي للإنسان الدافع ليقوم بكشف قوانين هذا العالم؛ لأنّه كلّما اكتشف تلك الارتباطات والقوانين يتوصّل إلى الأهداف الإلهية وتزيد معرفته باللّه.

والنقطة الأخرى هي: أنّ مقدرة الإنسان على تسخير هذا العالم ليس لها نهاية؛ لأنّ الإنسان خُلِقَ للكمال، والعالم قد سُخِّر لكي يستفيد منه الإنسان في طريق تكامله. ومن هذه الجهة نجد أنّ الخالق تعالى قد وفّر للإنسان جميع ما يحتاجه في هذا المجال، وسخّر له الطبيعة، وهذا التسخير ينبغي الاستفادة منه بالشكل الصحيح، وعلى أساس الاستخلاف، وإذا لم يكن الأمر كذلك فإنّه سيؤدّي إلى الانحراف والفساد، ولا يحصل التكامل. ومن جهة أخرى فبما أنّ اكتشاف العالم غير محدود فتسخير العالم أيضاً غير محدود.

### ج- وحدة الحقيقة والمعرفة:

في بعض الأحيان يُبتلَى الإنسان بالفهم الخاطئ للحقائق، وقد يُدرِك في بعض الأحيان ذلك الخطأ، ولكن في كثير من الأحيان لا يستطيع، من خلال الاعتماد على علمه لوحده، أن يدرك خطأه. وعليه، فلا بدّ من وجود أساس معصوم يرجع إليه يقوم بتكميل النواقص الموجودة في عملية تشخيص الخطأ؛ ليميّز من خلاله الخطأ من الصواب.

وهذا المصدر هو (الوحي الإلهي) الذي هو بمثابة مصدر للمعرفة، حيث يقوم بكشف بعض حقائق هذا العالم. وعلى هذا الأساس، فإنّ هناك طريقين أساسيّين لفهم الحقائق: الأوّل: العلوم الحسية والعقلية، والثاني: الوحي.

وبما أنّ كلا الطريقين من طرف الخالق تعالى، وعلوم الإنسان حتى وإن كانت صحيحة؛ فإنّها تشير إلى الواقعية، فإنّنا سوف لن نواجه أيّ تعارض بين العلمين. وفي اعتقاد الفاروقي إذا واجهنا تعارضاً هناك فهو ناشئ عن الفهم غير الصحيح، لا أنّه ناشئ عن تعارض حقيقي، فلا تعارض بين الوحي والعقل، بل المشكلة تكمن بالخطأ في الفهم العقلي والحسّي لنا، أو ناشئة من فهمنا للوحي. وعلى هذا الأساس، فإذا كان العلم الجديد، ومن خلال طرقه وأدواته، مبتنياً على أساس صحيح، فلا ينبغي حينئذٍ أن نرفضه؛ لأنّه في الحقيقة علم يكشف لنا عن السنن الإلهية.

## هـ- وحدة الحياة:

عند الرجوع إلى آيات القران الكريم نجد أنّ الله تعالى قد جعل على كاهل الإنسان أمانة لم تستطع المخلوقات الأخرى تحمّلها: ﴿ إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴾[1]، وفي مقابل اعتراض الملائكة في هذا المجال، يقول: إنّي أعلم أموراً لا تعلموها أنتم: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّى جَاعِلٌ فِى ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ۖ قَالُوٓا۟ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ۖ قَالَ إِنِّىٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾[2]، فبالإضافة إلى القوانين التكوينية فرض الباري تعالى قوانين تشريعية على الإنسان تتحقّق بإرادة الإنسان، وقد جعل الله تعالى تلك الإرادة أمانة بيد الإنسان. والهدف من هذه القوانين هو العبودية، وإقامة الحقّ والعدل.

وعلى هذا الأساس، فإنّ الذي جعل الأمانة هو الله تعالى، وبتحقيق تلك الإرادة الإلهية ستتحقّق خلافة الإنسان على هذا العالم. وفي هذه الحالة فإنّ الإنسان وبإرادة إلهية ينفّذ الأعمال الإلهية، ويؤثّر على هذا العالم،

(١) الأحزاب: ٧٢.
(٢) البقرة: ٣٠.

وأمامه طريقان: طريق الضلالة، وطريق الهداية: ﴿إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا﴾[1].

وفي هذه الحالة، فإنّ للشخص نفسه أثراً كبيراً في هذا الأمر؛ لأنّ كلّ ظاهرة في العالم هي واقعة تحت إرادة الإنسان وتدبيره، ويستطيع أن يجعلها أداة للتقدّم المعنوي، وفي الوقت عينه يمكن أن يعمل هذا العمل في غير الأهداف والتعاليم الإلهية - حتى لو كان من أكثر الأعمال قدسية- فيؤدّي إلى الضلال. ولهذا فعلى الإنسان أن يعمل الأعمال بإخلاص وفي سبيل الله تعالى.

من جهة ثانية، فإنّ الإسلام يتدخّل في جميع أبعاد الحياة، فهو يعتني بالأحكام، والأخلاق، وأيضاً بالاعتقادات، وله تعاليم تتناول الشأن الاجتماعي والفردي، وله برنامج دنيوي وآخر أخروي، ويعتني بالطبيعة، وكذلك بعالم ما وراء الطبيعة. ومع ملاحظة هذه الأمور، على كلّ إنسان أن يكون أحد أفراد هذا النظام الكبير، وأن يسعى لكشف حقائق هذا العالم، وأن يستخدم هذا العلم في إقامة العدل والقسط. وسيؤدّي هذا الأمر إلى إيجاد مجتمع صالح يسعى لتحقيق العدالة، وأيضاً يؤدّي إلى حركة للبناء والتحضّر. فمجتمع متّحد يطبّق التعاليم الإلهية يستطيع أن يستخرج الطاقات الكامنة في الإنسان.

### و- وحدة الإنسانية:

إنّ النظرية الإسلامية تؤكّد على عدم الفصل بين الذات والحقيقة البشرية، فلا يوجد هناك انفكاك بينهما، بل الموجود هو الإنسانية فقط. فلا يوجد في الإسلام أيّ فرق بين الإنسان الأسود والأبيض، وكذلك لا توجد للإنسان الغربي أيّ مميّزات على الشرقي. وجميع الفوارق بين أبناء البشر؛ في الجينات، والعائلة، والقوميّة هي فوارق عارضية، لا مدخلية لها

(١) الإنسان: ٣.

في إنسانية الإنسان: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٞ﴾[1]، فالفرق، والطوائف، والذكورية، والأنثوية لا مدخلية لها في ملاك الأفضلية.

ويعتقد الفاروقي أنّ هذا الأصل، كما الحال في غيره من الأصول السابقة، ينبغي أن يكون مبنى من مباني العلوم الإنسانية الإسلامية؛ لأنّ مبنى كهذا غير موجود في العلوم الإنسانية المعاصرة، وهذا ما يولِّد الفرق الأساس بين الفكر والنهج الإسلامي والفكر الغربي في العلوم الإنسانية. فكما أنّ الله تعالى واحد فلا بدّ من أن تنعكس هذه على الإنسان - الذي يُعدّ خليفته وحاملاً لأمانته.

إنّ الله تعالى جعل الفطرة الإنسانية نفسها في جميع خلقه، ولكنّ الإنسان وبإرادته يقوم بتخريب هذه الوحدة.

نعم، لا بدّ من الإقرار بأنّ لكلّ جماعة وقومية طريقتها الخاصّة في العيش؛ في ما يتعلّق بالأكل، واللباس، ونحوهما، والعلاقات، واللغات، فيوجد هناك نوع اختلاف بينها. بل نجد أنّ هناك اختلافاً في مستوى الذكاء وقوّتهم البدنية؛ وذلك يرجع إلى العوامل الوراثية أو القومية أو... فهناك نوع من التمايز، ولكن ذلك لا يعني بأيّ وجه التفاضل، ولكنّه -كما عبّر القرآن- إنّما جُعِلَ في الإنسان لكي يحصل من خلاله التعارف، وتقوم العلاقات الاجتماعية؛ لأنّ كلّ شخص، ومن خلال مميّزاته وقدراته، يستطيع أن يسدّ بعض احتياجات الناس الآخرين. ومن جهة أخرى، فإنّ لديه نقاط ضعف يقوم الآخرون وفق قدراتهم بسدّها، وبهذا الشكل تحصل حالة التفاعل والتعامل في المجتمع.

أضف إلى ذلك، أنّ المسيرة التاريخية لا تسير بحسب وجهة معيّنة قطعية قد حُدِّدت لها من قبل، بل إنّها قائمة على أساس إرادة البشر؛ سواء أكانت تلك الإرادة إرادة خيرة أم شريرة. وعليه، فإنّ العنصر

(١) الحجرات: ١٣.

الأهمّ في صناعة التاريخ هو إرادة الإنسان، وليس العنصر القومي وأمثاله. فنجد أنّ البعض يدّعي أنّه العنصر المتفوّق على العناصر الأخرى، ولكنّنا نجد أنّه يهزم وفي أحيان أخرى ينتصر. فنجد أنّ بعض القوميات تكون حاكمة لفترة، وبعد ذلك تصبح محكومة. من أجل ذلك، فإنّ مصير البشرية ليس مرتبطاً بقومية، أو عنصريّة، أو عائلة، بل إنّه يرجع إلى مجموعة من العوامل على رأسها إرادة الإنسان.

وهناك قضية أخرى ينبغي التركيز عليها، وهي: أنّ التفاخر والمباهات ليس لهما نهاية، فعلى سبيل المثال: عندما تطوّر الغربيّون في العلوم على الشرقيين نشأت عند الغربيين ظاهرة ادّعاء الجرمن أنّهم العنصر المتفوّق، وانجرّ ذلك إلى شعوب أخرى؛ ما أدّى إلى بروز ظواهر؛ كهتلر، وموسيليني في التاريخ. وأدّت إلى اندلاع الحروب والضغائن التي لم تنتهي.

إنّ في الاعتقاد بالتفوّق العنصري جنبة إذا لم تُراقب بشكل دقيق في جميع جوانب الحياة؛ فإنّها سوف تؤدّي إلى الحروب والتخريب والكثير من الآثار السيئة.

إنّ الفاروقي يعتقد أنّ الحاكم على الفكر الغربي هو العقلية العنصرية، وأنّ جميع علومهم الإنسانية قائمة على هذا الأساس، وقد أضافت حالة أل Romanticism – وهي الآثار الأدبية والثقافية التي ظهرت في أوائل القرن التاسع عشر في فرنسا– في الغرب النار على الحطب[1].

فإذا كان الطريق إلى حلّ مشكلات المسلمين يكمن في تغيير النظام التعليمي، وبالنتيجة إصلاح المناهج الدراسية للعلوم الإنسانية الموجودة، فهنا يأتي السؤال: كيف يمكن تحقيق هذا الأمر عملياً؟

(١) الفاروقي، أسلمة المعرفة، م.س، ص٤٠–٤٥.

إنّ الفاروقي يعتقد بإمكان تحقيق هذا الهدف من خلال تطبيق اثنا عشر مرحلة[١].

## ٢- المراحل الاثنا عشرة التي ينبغي تطبيقها من أجل أسلمة المناهج:

### أ- التعرّف على جميع مجالات العلوم الإنسانية الجديدة:

إنّ أوّل خطوة في هذا الصدد تكمن في التعرّف على جميع مجالات العلوم الإنسانية الجديدة بالطريقة نفسها والمنهج نفسه، كما هو مطروح في الغرب، وفي أعلى مستوياته. وفي هذه المرحلة ينبغي - وفي كلّ العلوم وفي جميع المواد الدراسية -، أن تبحث، وترتَّب - بشكل جيد - الموضوعات والقواعد (المباني الأوّلية وأطروحات البحث) والطرق والمسائل. فهنا، لا يُكفى ببيان اصطلاحات العلوم وعناوينها وأبوابها وفصولها، بل لا بدّ من بحثها بحثاً إجمالياً يبيّن المراد منها. والتسلّط على الموضوع في المرحلة الأولى يعتبر مقدّمة ضرورية للسيطرة على الموضوع وإصلاحه.

### ب- التحقيق في الأقسام المختلفة لتلك العلوم:

في هذه المرحلة يلزم التحقيق في تلك العلوم للحصول على معلومات أكثر، وتلاحظ من خلالها الأبعاد المختلفة لتلك العلوم؛ من خلال الاطّلاع على السابقة التاريخية والأساس الاجتماعي لتكوّن هذه العلوم، والتحوّلات التي طرأت على تلك العلوم، بنحو أعمّ من دراسة الطرق والأطر والمباحث

(١) ينبغي الإشارة هنا إلى أنّه وقبل أن يدخل في المراحل الإثني عشرة، جعل من الموارد الخمسة التي سنذكرها هدفاً له في أسلمة المناهج: الحصول على العلوم الجديدة، والوصول إلى التراث الإسلامي، وإيجاد الربط بين هذين، وأن يكون الربط بينهما خلّاقاً ومؤثّراً وفعّالاً وقادراً على الحركة في الطريق، مستنداً إلى الفكر الإسلامي؛ لكي يمكّننا من تحقيق السنن الإلهية على الأرض. الملاحظ هنا: أنّ الفاروقي قد خلط إلى حدّ كبير بين الأهداف الإسلامية المتوخاة من أسلمة المتون وبين المراحل العملية لأسلمة المتون؛ لأنّ غير هذه الأمور الخمسة تعتبر الموارد الأخرى من الأمور العملية، وليست من الأهداف.

المحتوائية ونقاط البحث المرتبطة بكلّ من هذه العلوم، وفي هذه المرحلة ينبغي أن يُبحث بشكل منظّم في الكتب الأساسية والمهمّة في تلك العلوم، لا أن يكون البحث في حدود التعرّف على تلك الكتب، وينبغي التعرّف على تلك الكتب من خلال تقارير منسجمة يتمّ فيها تحليل محتويات تلك الكتب وبيانها.

والهدف من هذه المرحلة أن يطمئنّ المسلمون على أنّ الذي بأيديهم هو الموجود عينه في الكتب الغربية، وبذلك سيكون الهدف الرئيس من الخطوة الأولى والثانية هو تتبّع المصادر الغربية، والتسلّط على جميع أبعاد العلوم الغربية.

ومن الواضح أنّ شخصاً لوحده سوف لن يكون قادراً على أن يتتبّع جميع هذه المصادر، بل نحن بحاجة إلى جهد جماعي، وأن يقسّم العمل، وكذلك الإدارة. وعلى هذه المجموعات أن يكون لديها فهماً مشتركاً، ومن أجل تحقيق هذا المهمّة، لا بدّ من حصول تبادل للمعلومات بينها، وهو أمر مهمّ جدّاً وضروري. وينبغي أن يكون العاملون على هذا المشروع من العناصر التي لديها تخصّصات في العلوم الإنسانية، ومن الشخصيات التي لديها وازع وهدف ديني؛ سواء أكانوا يسكنون في الغرب أم في البلدان الإسلامية.

### ج- معرفة التراث الإسلامي معرفة معمّقة:

إنّ التراث العلمي الإسلامي عظيم ويتكوّن من العلوم المستنبطة من القرآن الكريم، والسنّة النبوية، وسنّة التابعين، وسوف يشمل العلوم الإسلامية الأخرى التي لم تؤخذ من الوحي. فينبغي أن يبحث في هذا التراث العظيم، وتستخرج الأطر والأصول والطرق والأهداف والإبداعات، واستخراج ما هو المناسب لزماننا.

فإنّ الكثير من الذين يتعلّمون العلوم الجديدة ليست لهم معرفة بالسنن والتراث الإسلامي، وحتى لو كانت لهم معرفة بلغة السنّة، فإنّهم

لا يعرفون الطرق التي من خلالها تفهم تلك النصوص. فهم يواجهون مجموعة كبيرة من المصادر والنسخ الخطّية، ولا يعرفون ما الذي ينبغي عمله مع هذا الجبل من المعلومات. ومثل هذا الأمر كمن يدخل في مخزن مملوءاً أشياء، وكلّ في مكانه المخصّص له، ولكنّ الداخل لا يعرف كيفية التعامل مع هذه الأشياء؛ ما يؤدّي إلى تخريب ما في ذلك الكنز، وهو ما يؤدّي بدوره إلى حرمانه ممّا هو موجود فيه.

وطريقة الحلّ تكمن ابتداءً في نقل العلوم الغربية التي تمّ ترتيبها في المرحلة الثانية، إلى العلماء المسلمين لكي يطّلعوا على مكنونات تلك العلوم، ثمّ ينتقلون إلى التراث الإسلامي؛ لكي يستخرجوا المطالب التي تلبّي احتياجات المجتمع في زماننا. وهذه المطالب تارة تكون قد ذكرت بشكل صريح، وبعض الأحيان ليس الأمر كذلك، ولكنّ الذي يطّلع على التراث الإسلامي بهذا الشكل وله علم بالمشاكل؛ سوف يستطيع استخراج الحلول، ويجيب على الأسئلة من خلال اصطيادها من مضمون ذلك التراث.

وستكون نتيجة هذا العمل كتابة دائرة معارف من التراث الإسلامي متناسبة مع العصر الحالي. وتوضع هذه الموسوعة بين يدي العلماء المسلمين المتخصّصين في العلوم الإنسانية حتى يستطيع كلّ واحد منهم أن يستخرج ما هو مفيد للمجتمع بأحسن شكل، وبطريقة واقعية، فيستفيد من هذا التراث في علمه الذي تخصّص به.

### د - تجزئة التراث الإسلامي وتحليله:

لقد واجه العلماء المسلمون في السابق مشاكل ومعضلات؛ ما دعاهم إلى إيجاد الحلول، وكانوا يؤسّسون لنظريات. وبذلك حصل عندنا إرث من العلوم الإنسانية، ولأجل الاطّلاع على هذا التدرّج في هذا الصدد لا بدّ من البحث في التسلسل التاريخي، والمشاكل، وطرق الحلّ التي أوجدوها للخروج من تلك المشاكل. ومن خلال ذلك نعرف كيف تمكّن

هؤلاء من الاستفادة من النظرية الإسلامية في علومهم من أجل التغلّب على تلك المشاكل واجتراح الحلول المناسبة. وعليه، فلا بدّ من أن نقوم بالعمل نفسه الذي قمنا به في المرحلة الثانية في العلوم الإنسانية، ولكنّ المعيار والطريقة، هنا مختلفان، وكذلك الأولويات؛ فإنّ لهذه المرحلة خصوصياتها الخاصّة.

### هـ - إيجاد الربط بين الإسلام وفروع العلوم الإنسانية الجديدة:

بعد أن قمنا بطي المراحل الأربعة، والاطّلاع والتعرّف على تلك الأمور، مثل: مشكلات المسلمين، ونقاط القوّة والضعف في العلوم الجديدة، والتراث الذي خلّفه لنا السابقون، ومعرفة أين يمكن الاستفادة منها، والمواضيع التي لا تتناسب مع متطلّبات اليوم. ففي المرحلة اللاحقة ينبغي أن نجعل النظريات الإسلامية والعلوم الجديدة منسجمة مع بعضها. ومن هذه المرحلة يبتدئ الإبداع بشكل تدريجي. وفي هذه المرحلة ينبغي الجواب على أسئلة ثلاثة:

- دور الإسلام في إيجاد العلوم الجديدة إلى أيّ حدّ؟ فهذا العلم الذي كان له تأثير كبير على أوروبا في العصور الوسطى، وكان للكثير من العلماء، ومنهم: ابن رشد، وابن سينا، وابن الهيثم، والخوارزمي، و... دور في العلوم والتمدّن الغربي، ولكن ما هو الحال في العلوم الإنسانية المعاصرة؟ فلا بدّ من الرجوع إلى السابقة ومعطياتها؛ للاستعانة بها في الإجابة .
- ما هو مقدار المشتركات والتطابق بين العلوم الجديدة والتراث الإسلامي؟
- ما هي الموارد التي لا تنسجم أو تتعارض فيها العلوم الجديد مع النظرية والتراث الإسلامي؟

إنّ الإجابة على هذه الأسئلة ستكون خطوة مهمّة وإبداعية أكثر من المراحل السابقة، وسوف نستعين بها في المراحل اللاحقة.

### و - نقد العلوم الجديدة وتحليلها:

يجب تقويم العلوم الجديدة على أساس النظرية الإسلامية، ومعرفة مدى إمكانية قبول هذه العلوم، والمسائل الأساسية فيها، وتطبيقات ذلك العلم، ونقدها خارج إطار ذلك العلم، والمقدار الذي تمثّله الأصول الأساسية، وكذلك الأهداف لهذا العلم التي تساهم في حلّ المشاكل الرئيسة. وما هو مقدار الكفاءة والمعقولية في نظريّاته، ومدى تناسب تلك الأمور مع أطرنا المتمثّلة في التوحيد بأبعاده الخمسة، وهي من جملة الأعمال التي ينبغي الإتيان بها في هذه المرحلة. وفي مرحلة النقد هذه لا ينبغي أن يكون الهدف هو التخريب المحض. لكنّ الهدف ينبغي أن يكون من أجل البناء والإصلاح. وعليه، فلا بدّ من السعي لإيجاد نظريات بديلة.

ومن الأسئلة المهمّة في هذا المجال التي نستعملها في نقد تلك العلوم، هي: هل استطاع هذا العلم تحقيق الأهداف التي أرادها مؤسّسوه - وإن كانت غير صحيحة-؟ وهل استطاع أن يحقّق تطلّعات الناس- الذين يعبّرون عن بعض المجتمع الإنساني الذي له الأثر في المسائل العلمية-؟ لأنّ من الطبيعي أن يكون العلم ساعياً إلى حلّ مشكلات الناس، وأن يكون نافعاً لهم. وهل يستطيع هذا العلم أن يحقّق تلك الأهداف في الإطار الإلهي والإسلامي.

وعلى كلّ حال، فإنّ تلك الأعمال من النقد التاريخي، والمحتوائي، والأهداف، والطرق، والتوجّه للمباني والفرضيات؛ ستؤدّي جميعها إلى نظرة واضحة للعلم، بحيث ننطلق من خلالها في عملية التصحيح، لنقوم بعملية الحذف والإصلاح الإسلامية لتلك العلوم.

### ز- التقويم النقدي للتراث الإسلامي:

بالرغم من أنّ أساس هذا التراث هو القرآن الكريم والسنّة النبوية -كما كان ذلك ابتداءً- غير قابل للنقد. ولكنّ بالنسبة لفهم المسلمين للقرآن والسنّة وما استنبطوه منهما في هذه القرون المتمادية فإنّه قابل

للنقد، نستطيع بل ينبغي نقده وتقويمه. ولكنّ الأساس الذي ينبغي الاتكاء عليه في نقدها يحكمه سؤال: ما هو وكيف يمكن تطبيقه؟ ويعتقد الفاروقي أنّ هناك معايير ثلاثة ينبغي اتّباعها في نقد التراث الإسلامي:

- إنّ النظرية الإسلامية تقوم على الوحي الإلهي المأخوذ من كتاب الله وسنّة نبيه، والوحي عنده هو تحقّق الأمر التاريخي الشامل لسيرة النبي ﷺ العملية، وسيرة الصحابة والتابعين. ومن الواضح أنّ فهم كهذا للوحي توجد فيه نقاط اختلاف عن الوحي المتعارف.
- الاحتياجات المعاصرة هي التي تعيِّن وتحدِّد لنا المقدار الذي ينبغي أن يبقى من ذلك الميراث وكيفية اختياره.
- العلوم الإنسانية المعاصرة.

يعتقد الفاروقي أنّ التقويم ينبغي أن يؤدّي إلى إيجاد المعرفة بالتراث الإسلامي، وأيضاً إلى السيطرة على المتخصّصين في العلوم الإنسانية، حتى لا يؤدّي عدم علمهم بتلك المسائل إلى الوقوع في الخطأ.

## ح- البحث في المعضلات والمشاكل التي تعاني منها الأمّة الإسلامية:

ينبغي التعرّف على المشاكل والمعضلات التي تعاني منها الأمّة الإسلامية، والسعي لحلّها ورفعها. فالمسلمين يواجهون مشاكل اقتصادية وسياسية واجتماعية كثيرة، وترجع في مجملها إلى المشاكل الفكرية والأخلاقية. فينبغي علينا حينئذ أن نؤلّف العلوم الإنسانية بشكل تصبح أداة لحلّ تلك المشاكل والمعضلات. فلا بدّ أن يكون العلم الإسلامي علماً نافعاً، يقوم بحلّ مشاكل الأمّة الإسلامية. وعليه، فينبغي تنحية العلوم التي ليس لها جنبة عملية؛ كالمباحث الفلسفية والنظرية المحضة؛ لأنّها علوم تجاهلت المشاكل الحياتية، وهي غير قادرة على المساعدة في حلّ المعضلات التي تواجه العالم الإسلامي[1].

(١) الفاروقي، أسلمة المعرفة، م.س، ص٥١.

### ط- البحث في مشاكل العالم المعاصر ومعضلاته:

لا ينبغي فقط البحث في مشاكل الأمّة الإسلامية ومعالجتها، ولكن ينبغي الاهتمام بالبحث في مشاكل الإنسانية المعاصرة ومعضلاتها؛ لأنّنا نجد عند مراجعتنا للنصوص الدينية أنّ مهمّة المسلمين الهداية إلى المنهج الإلهي وتعريفه لغير المسلمين أيضاً. فالأمّة الإسلامية جزء من المجتمع الإنساني، والجميع هم عباد الله، وهو يريد هداية جميع أبناء البشر. فينبغي السعي لجذب جميع المجتمعات الانسانية لعوامل الجذب الإلهية والارتقاء بها.

إنّ الإسلام رسالة عالمية، وهو يريد هداية الإنسان، وإيصاله إلى الحقيقة.

ومشاكل الإنسانية في زماننا الحاضر كثيرة، فالتمييز العنصري، والمثلية الجنسية، والإدمان على المخدرات، والانحطاط الخلقي في الأسرة، وحروب الأقوياء ضدّ الضعفاء، والأمّيّة، والبطالة، وصناعة أسلحة الدمار الشامل، ومشاكل البيئة... كلّها مشاكل لا بدّ أن تكون مطروحة ضمن المشروع الإسلامي الذي يُراد تطبيقه.

### ي- البحث والتحليل المبدع والخلّاق:

بعد أن فهمنا مشكلات الأمّة الإسلامية والمجتمع الإنساني، ينبغي للمفكّرين الإسلاميين أن يقوموا بعملية إبداعية وخلّاقة؛ ليقوموا من خلالها بعملية دمج بين التراث الإسلامي والعلوم الجديدة؛ لكي نستطيع من خلالها إخراج العالم الإسلامي من حالة التخلّف، وتكوين أرضية جديدة للتطوّر. والنقطة المهمّة التي ينبغي التركيز عليها تكمن في إيجاد طرق خلّاقة ومؤثّرة في مجال الحياة الإنسانية، وفتح آفاق التطوّر.

وهذا السعي لا يؤثّر فيه الاختلاف بين المسلمين، فالمهمّ أنّ على الجميع أن يسعوا لإيجاد فكر مبدع، ومن ثمّ يقومون أنفسهم بتطويره؛ لأنّ إيجاد حلول بديلة سيؤدّي إلى حصول التطوّر والبناء، وفي النتيجة ينبغي البحث

في ما بين جميع هذه الآراء عن الرأي الأمثل والأفضل والمطلوب إسلامياً؛ بما من شأنه أن يوصلنا إلى ما نريده ونطلبه، ويكون قادراً على حلّ المشاكل في الأمّة الإسلامية. ومن أجل تحقيق هذا التقويم ينبغي البحث أكثر في المعايير والأطر الكلامية والأخلاقية والفقهية وتعريفها وتبيينها[١].

### ك- تأليف المناهج التعليمية وترتيبها على أساس الفكر الإسلامي:

إنّ الإبداع وصناعة العلوم هما نتيجة للعلوم الجديدة والتراثية وتعيين مشاكل العالم الإسلامي، ويمكن أن يتحقّق ذلك بصورة محدودة، وعلى صورة مقالات وتحقيقات تتناول الموضوعات بشكل مجزَّء، ثمّ يتمّ تناول المواضيع الأخرى بشكل تدريجي؛ لكي تتوافر الأرضية لتأليف المناهج الدراسية. وهذه المقالات تكون السند الفكري لكتابة تلك المناهج، حتى نستطيع أن نعالج مشاكل المسلمين من خلال النظام التعليمي.

والفاروقي هنا، يصرّح ويؤكّد على هذا الأمر؛ وهو: ضرورة تنظيم المناهج الدراسية بشكل خاصّ ومميّز حتى يستطيع أن ينتج لنا منهجاً يدمج بين العلوم الجديدة والتراث ويقوم بحلّ مشكلات الإنسان المعاصر. وتوضيح هذه الطريقة هو بمثابة المصباح الذي يكشف لنا كيف نتعامل فيها مع الأركان التي سبق ذكرها، وكيف يتمّ التعامل معها. فالبرمجة وتجنّب التسرّع؛ من الأمور التي ينبغي التأكيد عليها في هذه المرحلة.

### ل- توسيع التعليم الإسلامي:

ليس الغرض من أسلمة العلوم هو أن تبقى هذه العلوم في الكتب، ولكنّها أُلِّفت من أجل أن تحقّق الإرادة الإلهية في الأرض وهداية الناس، فلا بدّ من السعي لأن تطبَّق تلك العلوم على الأرض، وتطبيقها في حلّ مشاكل الأمّة الإسلامية. وهذا يحتاج إلى المؤسّسات التي تعمل على تطبيقها[٢].

(١) الفاروقي، أسلمة المعرفة، م.س، ص٥٢-٥٣.
(٢) الفاروقي، أسلمة المعرفة، م.س، ٥٤-٥٥.

## خامساً: تحليل نظرية الفاروقي وتقويمها:

إنّ لنظرية الفاروقي في أسلمة العلوم جوانب إيجابية، أهمّها:

- الاعتقاد بوجود هدف للعلم يُسعى إلى تحقيقه.
- جعل العلوم الإنسانية المعاصرة في إطار معرفي، وعقدي، وأخلاقي، وفقهي إسلامي؛ بمعنى الاستفادة منها بشكل صحيح.
- إنّ النظام التعليمي الإسلامي المطلوب يتكوَّن من قوّة النظام القديم والتجارب في الأنظمة التعليمية الأخرى في زماننا المعاصر.
- ينبغي تأليف كتب تعليمية مناسبة لتحقيق هذا الغرض.
- ينبغي ضرورة الهوية الإسلامية عند التعامل مع المدارس والثقافات الأخرى.

وبالرغم من وجود هذه الإيجابيات، فإنّ هناك بعض الإشكالات على هذه النظرية. وهنا نتعرّض إليها في قسمي المباني الفكرية، وفرضيات البحث، وأيضاً في الطرق:

### ١- تحليل المباني الفكرية وفرضيات بحث الفاروقي:

أ- إنّ ما اعتقده الفاروقي في مسألة تعارض العقل والوحي في الفترات المتوسّطة في العالم الإسلامي، واعتبارها أحد عوامل تخلّف العالم الإسلامي هي عقيدة صحيحة، ولكنّ توضيحه للمسألة وأيضاً الأمثلة التي ضربها كمثال لهذا الأمر(كالفارابي) هو أمر غير دقيق؛ لأنّ الفارابي كان على العكس تماماً ممّا بيّنه الفاروقي؛ إذ إنّه أسّس للاعتقاد العميق بظاهرة انسجام الوحي مع العقل؛ سواء من ناحية الوجود أم من جهة المعرفة. وقد بيّن هذا الأمر بياناً فلسفياً مهمّاً في هذا المجال[1]. وفي المقابل نجد أمثال الغزالي وابن تيمية الذين ارتبط بهما الفاروقي ارتباطاً وثيقاً، هما اللذان أكّدا على

(١) انظر: ميري، سيد محسن: دور عالم المثال في الأجوبة التي تواجه الإنسان المعاصر من منظار هانري كربن، طهران، مجلة الحكمة المعاصرة، العدد١، ١٣٨٩هـ. ش.

مفهوم التعارض بين الوحي والعقل ووسّعاه.

وعليه، فإذا أردنا منبع الانحطاط فلا بدّ من البحث عنه بين أمثال الغزالي؛ لأنّه بعث على العمل على قمع الجانب العقلي عند الشيعة والمعتزلة، وأنشأ ظاهرة الجمود الفكري، وأدّى إلى توسّع الفكر السلفي، والأفكار التكفيرية، ومعارضته للحرّيّة الفكرية في الأمّة الإسلامية.

ب- وأمّا في ما يخصّ مسألة ارتباط العلم بالعمل؛ فإنّ كلامه صحيح بشكل كامل، ولكنّ مشكلة الفاروقي تكمن في نظرته للعلوم الإسلامية على أنّها عملية فقط، وليس لها أيّ جنبة نظرية، وهو بذلك يشابه الفكر السلفي الذي لا يولي الأبحاث المعقّدة الفلسفية أيّ أهمّيّة، بل يعمل على محوها، وهذا المنهج يسعى لأن يلقي جميع ظواهر التخلّف على عاتق الأبحاث العقلية، وأنّ حلّ المشكلة تكمن في أن تتخلّص الأمّة من الأبحاث النظرية؛ حتى تتوجَّه وبسرعة إلى العمل. وهذا الجريان لا يولي أيّ اهتمام لمباحث المعرفة والماورائيات لأنّ البحث في هذه المسائل مدعاة إضاعة للوقت، وهو مهمّ بالنسبة للمفكّرين الذين يبحثون في هذا المجال.

إنّ الكسل الظاهر والسطحية في هذا المنهج، لا يتناسبان مع مقدار المشاكل المعاصرة التي تمتاز بالتعقيد عمّا كان سابقاً، وهي بحاجة لحلّها إلى تفكير عميق وكبير يتناسب مع عظمة تلك المشاكل، أمّا الخطّ السلفي فإنّه لمحدوديّته العقلية يلجأ دائماً إلى التسطيح؛ لأنّه يعجز عن الإتيان بالحلول المناسبة. وفكراً كهذا لا يستطيع أن يماشي تحوّلات ثقافية- اجتماعية كهذه. من هنا، فهم يلجئون إلى الوسائط النظرية المتماشية مع الفكر الغربي. وبعبارة أخرى: إنّهم يعملون في خدمة الغرب.

ج- والمشكلة الأخرى للفاروقي تكمن في المعارف والفكر الإسلامي، فإنّ همّه الأوّل هو الكمّيّة، وأمّا بالنسبة للكيفية والعمق فلا يظهر كثير أهمّيّة. مع أنّ واقع المعارف الدينية يؤكّد على موضوع أنواع العلوم ومدارجها، ولكلّ من هذه المستويات أهمّيّته الخاصّة،

فبعضها مخصّص للعوام ذوي الفكر البسيط الذين يعملون على إيجاد الحركة الفكرية، وإقامة الحضارة والتمدّن الجديد، ويوصلوا المجتمع إلى التوحيد المطلوب. ولكنّ المعارف والفكر الإسلامي لا تتوقّف عند هذا الحدّ. فللإسلام أهداف أعلى من هذا الأمر بكثير بالنسبة للإنسان، وهذه المراحل لا يصل لها الإنسان إلا من خلال التعمّق في المعارف والفكر الإسلامي التي ذُكِرَت في القرآن وسنّة النبي ﷺ وأهل البيت عليهم السلام. وبعض هذه المعارف يوجد فيها جنبة نظرية فقط ولا يوجد فيها جوانب عملية، وفيها يكمن التوحيد الواقعي. ولكن، ولعمق تلك العلوم، فإنّ الذين يتعاملون معها هم عدد محدود، ولكنّ هذا الأمر لا يقلّل من أهمّيّتها. وعلى ذلك، فإنّ ما ذكره الفاروقي من أنّ الفكر الإسلامي في تلك المرحلة ينحصر بالعلوم ذات الجنبة العملية لا ينطبق بالكامل مع الواقعية التاريخية.

والأمر الآخر هو أنّ الأمّة الإسلامية ومنذ بدايتها هي في مواجهة مع الأفكار الأخرى، ولا بدّ حينئذ من الدفاع عن العقيدة الإسلامية، وهذا لا يكون إلا من خلال العلوم النظرية الأساسية، وبالخصوص في فترة ما بين أواخر الحكم الأموي إلى زمان حكم المأمون العبّاسي، وبعدها فُتِحَت أبواب المجتمع الإسلامي في وجه الثقافات والحضارات المختلفة. فوُجِدَ أنّ الأفكار اليونانية، والفارسية، والمسيحية، والبوذية، وغيرها قد هجمت على المجتمع الإسلامي، وأضحت مواجهتها غير مقدورة من خلال العلوم ذات الجنبة العملية. لذا، فعلى المجتمع الإسلامي أن يتسلّح بالعلوم النظرية حتى يتمكّن من مواجهة هذه الأفكار، ويستطيع الإجابة على الأسئلة التي تنشأ من ظاهرة كهذه. ومن المعلوم أنّ أبحاث كهذه في حاجة مبرمة للمباحث العقلية.

د- وأمّا القضية الأخرى التي ينبغي الإشارة إليها فهي مسألة افتراق العلماء عن الحكّام، فهذا الادّعاء أيضاً نردّه؛ لأنّنا، وعند مراجعة

تاريخ الفكر الإسلامي، نجد أنّ بعض العلماء، بالإضافة إلى نشاطهم في العلوم النظرية المحضة، كانوا مرتبطين بالعمل والواقع الاجتماعي؛ فالخواجة نصير الدين الطوسي بالإضافة إلى إبداعه في المجال العلمي، فقد كان له الأثر الكبير في حفظ الاعتقادات والقيم الإسلامية، حيث كان له نشاط فكري في المجالات العقلية، وفي المجال الاجتماعي أيضاً. وهناك ثلّة أخرى مشابهة يمكن الإشارة إليها. وعلى ذلك، فادّعاء الفاروقي في مسألة افتراق العلم عن العمل، ولو كان فيها نوع من الصحّة إلى حدّ كبير، ولكنّ الواقعية التاريخية لا تؤيّد كلّيّته، فالاستدلال بانتشار العرفان والميتافيزيقية على أنّهما السبب في فصل العلم عن العمل؛ ينتقض بموارد تاريخية كثيرة.

وكذلك أيضاً مباني الفاروقي في مباني العلوم الإنسانية بشكل مطلق والمسيرة التاريخية التي اتخذتها في الغرب، نجد فيها مجموعة من نقاط الخلل، من جملتها:

- أنّه لم يولي الاهتمام الكافي للأطر الأساسية الحاكمة على العلوم الإنسانية. فهو وإن كان اهتمّ بالعوامل التي أثّرت على الموضوع- وهذا في بعض جوانب الموضوع – ولكنّه تجاهل عوامل المعرفة، وتناول الموضوع بشكل ساذج وبسيط. وللتوضيح نقول: إنّ كلّ علم من العلوم، ومنها العلوم الإنسانية، له نظرياته، ولكلّ واحد منها مبادئ أساسية ومعرفية خاصّة بها، وهذه المبادئ الأساسية يمكن ترتيبها في المجالات التالية: طرق المعرفة، ومعرفة الأساليب، ومعرفة الإنسان، ومعرفة العالم، ومعرفة الله. وهذه المباني ليست من جنس تلك العلوم، ولكنّ هذه العلوم تُبنى على أساس تلك العلوم. وعدم البحث في تلك العلوم؛ بمعنى عدم العناية بأصل تلك العلوم. فمن أجل التعرّف بشكل أفضل على نظرية اجتماعية تتناول هوية الإنسان لا يمكننا تجاهل نظرة المجتمع والعالم. وإذا أراد المفكّر أن يبحث في بعض الخصائص الإنسانية؛ كالطمع، والحرص، وحبّ

السلطة، و... ينفي وجود الباري تعالى من الوجود، وهذه النظرة سرت إلى جميع النظريات في مجال العلوم الإنسانية. وعليه، فإنّ الفاروقي اعتنى ببعض الأصول المحدودة للمعرفة من الفكر الغربي والإسلامي، وجعلها في خمسة أصول كلّيّة، وغفل عن بقية المباني الأخرى، وهذا أمر غير دقيق.

- إنّ الشكل الذي وصل إليه الفكر والثقافة الغربية معلول لعوامل كثيرة ومعقّدة، وحصرها في عامل أو عاملين، هما( التفرقة العنصرية أو التعصّب العرقي) سيؤدي إلى التضليل. فعلى سبيل المثال: إنّ من أهمّ المشاكل التي يعاني[1] منها الغرب: التعدّدية في معرفة الوجود وطرق المعرفة، والتي ترجع أصولها إلى أفكار المتأثّرين بابن رشد من اللاتينيين. وقد بُني الكثير من أفكار المفكّرين في الغرب على هذا الأساس. وفي هذا التعدّد قطعوا الرابطة الوجودية بين الملائكة الحاملة للوحي والوسائط التي تحمل الأفكار العقلية، وتحوّل الاتّحاد بين العقل والوحي إلى الكثرة والانفصال، وترتّب عليه تحوّل الوحدة بين الوحي والعقل أو العلم والدين إلى التباين والافتراق والتعارض. وقد كان أصحاب الكنيسة يؤيّدون هذا الاعتقاد، ويعتبرونه ناشئاً عن الاعتقاد بالوحي، واعتبار الوحي هو المنبع الأساس للمعرفة. وفي الوقت عينه نجد علماء المسلمين؛ كابن سينا يذهب إلى اتّصال العلم والعقل، وملائكة الوحي تعتبر منبعاً للعلوم والمعارف العقلية والوحيانية، وأنّ الإنسان يستطيع أن يصل إلى المعرفة والعلم من خلال العقل الفعّال، من دون الرجوع إلى مراكز؛ كالكنيسة.

وهذا التعدّد أدّى إلى حصول مشاكل واضطرابات كثيرة في العالم الغربي، منها: التفريق بين الدنيا والآخرة، والإلهيات والفلسفة، وأدّى أيضاً إلى الابتعاد التدريجي للإنسان الغربي عن الله والأمور المعنوية، التي هي أحد آثار تلك الظاهرة. وأدّى الاعتقاد بالثنائية في العالم

(١) مجموعة مقالات: جمع محمد أمين شاهجويي، طهران، حقيقت، ١٣٨٤هـ. ش، ص٢٧٠-٢٧٢.

والمعارف الفكرية إلى وصولهم إلى طريق مسدود، وبذلك ابتعدوا عن طريق القداسة[١].

وهذه الأجواء أدّت إلى ظهور وطرح أفكار أمثال: ديكارت الذي يذهب إلى أنّ الإنسان يتألّف من جوهرين متمايزين، هما: الجسم والنفس، والخصوصية التي تتمتّع بها النفس هي التفكير، وأمّا الجسم فخصوصيّته الامتداد. وقد أدّت تلك النظرية في التفريق إلى ظهور مجموعة من المشاكل جعلت الغربيين يتوسّلون إلى العوالم غير الواقعية والتي يُعبّر عنها بعالم (التخيّل)، وسعوا في تلبية الاحتياجات النفسية للإنسان، والتي ينبغي تلبيتها من عالم حقيقي وواقعي عن طريق عالم التخيّل. وقد نتج عن تلك النظرية ظهور فريقين: الأول: يعتقد بالمادّية المطلقة. والآخر: يعتقد بالواقعية الروحانية فقط[٢]. وحتى في زماننا الحاضر نجد أنّه كلما خفّت الحالة من الثنائية، يحلّ محلها الاعتقاد بالماترياليستي، التي تقلّل النفس، فتقسّمها إلى مجموعة من العناصر المادّية. وبذلك بُنِي علم النفس في الغرب الجديد على أساس فرضيات مادّية بحتة.

إنّ المرحلة الحديثة في الغرب- وبحسب اعتقاد المشهور- بدأت مع ديكارت. وقد بنى نظريّته على أساس (الشكّ في كلّ شيء)، وبذلك بدأ نفي اليقين. نعم شكّه يقع في طريق الوصول إلى اليقين، ولكنّ هذا المبنى أدّى إلى الشك في جميع المباني التي تقدّمت عليها؛ بسبب نظرية قامت على أساس محورية الإنسان. وأوجد ذلك وضعاً جديداً في مجال المعرفة في الغرب. وليس لمسألة العرق مكان في نظرية ديكارت، وإنّما يرتكز همّه على بناء العلوم الانسانية على القطعيات العقلية، ولا يجعل أيّ فرق بين الإنسان الغربي والشرقي، ولا يجعل أيّ من مبانيه على أساس عرقي في فلسفته. وقد اتّخذ كانت الأسلوب نفسه، فهو يتّفق مع ديكارت، حيث يتعامل مع البشرية وبنية الفهم الإنساني، ولا يركّز على مسألة العرق.

(١) انظر: كوربان، هنري: ابن سينا والتمثيل العرفاني، ترجمة انشاء الله رحمتي، طهران، جامي، ١٣٨٧هـ. ش، ص٤٤٩؛ تاريخ الفلسفة الإسلامية، ترجمة جواد الطباطبائي، طهران، كوير، ١٣٧٧هـ. ش، ص٨٥-٨٦.
(2) spiritualiste.

وعلى كلّ حال، فإنّ محورية الإنسان في مقابل محورية الله، والتشكيك، والنسبية، وسلطة الكنيسة، والحروب المذهبية، وعدم انسجام المفاهيم الكنسية، وغيرها من العوامل الكثيرة الأخرى التي أدّت إلى نشوء العلم والفكر الغربي الجديد. ولا يمكن حينئذ أن نحصر المشكلة في التفرقة العنصرية.

وحتى في الغرب اليوم، لا يُقبَل بأصل العرق، بل يعتقدون بال postmodernism وهو الأصل الذي يؤكّد على التفاوت بين البشر، والذي لا يعطي الحقّ للغربيين بالذهاب إلى أفريقيا وفرض القانون الغربي عليهم. هذا الفكر هو حصيلة نظرية قابلة للمناقشة، وإنّنا هنا نبحث في أنّ التفرقة العنصرية ليست هي العلّة التامّة للعلوم الإنسانية في الغرب.

والشواهد التاريخية والتحوّلات في أوروبا تؤكّد ما ذكرناه، وعلى سبيل المثال: نجد في المرحلة الغربية الحديثة حدوث مصطلحات في حركتها؛ كالثورة الفرنسية الكبرى، والمرحلة التنويرية[1]، بحيث لا توجد في هذه الظواهر أيّ من العلامات التي تدلّ على التفرقة العنصرية. فالمرحلة التنويرية والمذهب الأوروبي بُني على المشاعر الوطنية. ولهذا نجدهم يريدون نشر المفهوم الغربي عن حقوق الإنسان في جميع أنحاء العالم. ولهذا أشكل عليهم أصحاب الخطّ الذي يدعو لأن تكون لكلّ أمّة خصوصيّاتها بأنّكم غير قيّمين على العالم؛ حتى تفرضوا قوانينكم عليهم.

نعم، بعد حصول تلك الأحداث، وقيام الثورة الفرنسية، وما جرى بعدها، مُنِيَ هذا الفكر بالهزيمة، وكثير من هؤلاء الذين اعتقدوا بتلك المبادئ أجروا مراجعة، ورجعوا إلى المنهج العقلي، وأسّسوا للمذهب الرومانسي الذي يميل إلى التعصّب العرقي. وفي هذا الوقت ظهر الهيكل الذي بدأ بإظهار المواصفات الخاصّة للألمان، وحلّل تلك الصفات تحليلاً فلسفياً، وقامت تلك الفلسفة على أساس القوّة، وبدأ الألمان تدريجياً

(1) Enlightenment.

يعتقدون بتميّزهم عن الشعوب الأخرى، ولهذا برزت ظاهرة هتلر وأمثاله، وتجلّت فيهم تلك الفكرة، فالحربين العالميّتين الأولى والثانية إحدى نتائج تلك الأفكار التي خرجت من مرحلة النظرية إلى مرحلة العمل.

وبالإضافة إلى ذلك، فإنّ سيطرة الغرب والاستعمار الغربي بعد الثورة الصناعية، وحالة الشبع التي عانى منها الغرب أدّت بهم إلى التفكير في إيجاد أسواق أخرى في المناطق والدول الأخرى؛ حتى يحصلوا على المواد الخام التي يحتاجونها. ولتحقيق هذا الغرض وجدوا من الضروري التعرّف على سكّان تلك المناطق؛ ولهذا فكّروا في إنشاء معاهد لمعرفة الشرق؛ فبرزت ظاهرة الاستشراق والمستشرقين.

فلم يكن هدفهم معرفة الحقائق والواقعيات، بل إنّ هدفهم الأساس هو السيطرة والاستعمار، والمستشرقون كانت لهم تأليفات في مجال البحث يشمّ من بعضها رائحة التفرقة العنصرية، فهم جاءوا إلى تلك البلدان ليقولوا لهم إنّكم غير قادرين على إدارة بلدانكم، ولا بدّ من إدارتكم من خلالنا؛ لأنّ أصلكم وعرقكم أقلّ وأدنى من عرقنا، فنجد مثلاً أنّ إرنست رينان يكتب كتاباً بالفرنسية بعنوان ابن رشد والرشدية، وقد تُرجِمَ كتابه هذا إلى العربية، حيث يقول فيه رينان في وصف العرب ومميّزاتهم: إنّ العرب قوم لا يستطيعون إدراك الكلّيّات، وهم عاجزون عن بنيان الحكمة والعقل، وفي الوقت عينه يمجّد الفكر الغربي ويمدحه.

إنّ جميع هذه الحقائق نسلّم بوجودها في محلّها، ولكنّ هذا لا يعني أن نقوم بعكسها على جميع جوانب الفكر الغربي الجديد، بل إنّ بعض مفكّري الغرب؛ كهيغل، ونيتشه، ورينان، وأمثالهم كانت عندهم أفكار عنصرية كهذه، ولكن لا يمكن اعتبارهم واعتبار أفكارهم الأساس في بناء الفكر الغربي الحديث، وأنّ الفكر الغربي مبتني على الفكر العنصري. وينبغي الإشارة هنا إلى أنّ الفاروقي لم يستطع أن يأتي بشواهد لإثبات مدّعاه.

نعم، كلام الفاروقي عن علم الأنثروبولوجيا مقبول؛ لأنّه يعتقد أنّ تبنّي هذا المنهج سوف يقلّل من الحسّ القومي بين أبناء البشر، والمعتقدون

بهذا العلم؛ كاشتراوز يرون أنّ الغربيين وحدهم هم أصحاب الحضارة، وأمّا بقيّة الشعوب فهي وحشية، والبحث عنها هو بحث عن كيفية تعاملها وأعمال تلك الشعوب المتوحّشة، ولكنّ علوم الغرب غير منحصرة في الأنثروبولوجيا؛ إذ نجد أنّ كثيراً من علماء الغرب لا يقبلون هذا المعنى، ويعرّفون الإنسانية بشكل مختلف بعيد عن التفرقة العنصرية.

إنّ كلام الفاروقي صحيح من جهة أنّنا ينبغي أن نعرف الإنسان كما عرّفه القرآن الكريم، ونلاحظ فيه جانب وحدة الإنسان، وبهذا نلاحظ الفرق بين التعريف الغربي وتعريفنا. وعند كتابة المناهج العلمية الإنسانية ينبغي تبنّي التعريف الإسلامي للإنسان؛ لأنّه تعريف جامع وكامل للإنسان، لا التعاريف التي تعرّف الإنسان ناظرة إلى جنبة بعينها، أو التي تنظر إليه؛ بوصفه مادّة فقط، أو تعرّفه على أساس التفرقة العنصرية؛ كما هو الحال في الغرب.

## ٢- تحليل الطرق والأساليب التي تبنّاها الفاروقي وتقويمها:

أ- على خلاف ما اعتقده الفاروقي فإنّ مشاكل العالم الإسلامي لا يمكن حلّها من خلال حلّ واحد يتمثّل بأسلمة المناهج التعلمية. وإغفال الطرق الأخرى. فإنّ إصلاح النظام السياسي أيضاً له كبير الأثر في تغيير أوضاع المسلمين، فعلى سبيل المثال: لو أنّ حاكماً مسلماً كان عميلاً للقوى الكبرى وقد غيَّر منهجه واتّبع المنهج والمسلك الإسلامي، وعمل على تحقيق مصالح وطنه؛ فإنّ لذلك كبير الأثر بالإضافة إلى تغيير النظام التعليمي في تغيير أوضاع المسلمين. وإذا استطاع المسلمون أن يحصلوا على القوّة السياسية اللازمة في العالم؛ فإنّ ذلك سيؤثّر على الأوضاع نحو الأحسن. وكذلك سيجعل من المناهج الدراسية أكثر غنى.

أضف إلى ذلك تأثير الشخصيات ذوي التأثير، بالإضافة إلى العنصرين المتقدّمين سيكون لها كبير الأثر. فإنّ وجود شخصيات أو عدم وجودها؛

من أمثال: الإمام الخميني قدس سره، وحسن البنا، وآخرين؛ ممّن أثّروا بشكل كبير على معنويات المسلمين واستحوذوا على أنفسهم له كبير الأثر في نجاح أيّ مشروع إصلاحي. أضف إلى ذلك دور وسائل الإعلام في تغيير الأوضاع وإصلاح المشكلات التي يعاني منها المجتمع؛ فإنّ النشاط في مجال الأدب والقصص والأفلام وبقية النشاطات له أثر كبير في نجاح المشروع الإصلاحي. وعليه، وبخلاف ما ذهب إليه الفاروقي، فإنّ حلّ المشكلة بعمل واحد، وفي مجال واحد، قد يكون غير ممكن. إذ لا يمكننا تجاهل أساليب وأدوات مثل: الإعلام، والقوة، السياسية، والشخصيات المؤثّرة و... في حلّ تلك المشاكل.

ب- إنّ الكلام والأعمال المتناقضة إذا جعلناها هي المعيار فإنّها ستعطينا نتائج متناقضة؛ حيث إنّ الحجيّة إذا نقلناها للصحابة، ومن ثمّ للتابعين؛ فإنّ المشاكل ستزداد بدلاً من حلّها، وعليه فإنّ جعل المعيار للصحابة والتابعين غير مقبول.

وأمّا في ما يخصّ المعيار الثاني للتقويم فإنّ استخدام اصطلاح (الاحتياجات المعاصرة) مبهم، ولا بدّ من جعله شفافاً، فهل المقصود من الاحتياجات خصوص الاحتياجات المعنوية أم المادّية والتكنولوجية؟ وهل المراد الاحتياجات في زمن قصير أو لفترات طويلة؟ وهذا السؤال مهمّ من جهة أنّنا كيف سنتعامل فيه مع التراث وإصلاحه. وهل إنّ في هذه الإصلاحات خطوط حمراء أم لا؟ وإذا كانت موجودة فما هي المعايير التي تحكم تشخيصها؟ وإلى أيّ حدّ يمكننا التغيير في التراث بسبب وجود الحاجات؟ فإذا كان على أساس الغاية تبرّر الوسيلة؛ فيكون الأساس هو الاحتياجات العملية المحضة؛ بدليل التغييرات المتعاقبة وغير المحدودة وأبعادها. فعليه لا يُستبعد أيّ تغيير وتصرّف في التراث، ولا يبقى شيء مصان من التغيير. وفي غير هذه الحالة ينبغي تبيين ما هو المراد من الحاجات، وما هو المعيار في التغيير في التراث؟ أضف إلى ذلك مسألة أنّه من الذي يقوم بتحديد الاحتياجات؟ هل الدين الذي

يحدّدها أم الواقعيات العينية أم مقتضيات الحياة أم جميع ما تقدّم؟ وجواب هذه الأسئلة أيّاً كان لا بدّ أن يكون استدلالياً، ومع الأسف، فإنّ الفاروقي لم يقدّم أيّ أدلّة في هذا المجال.

وأمّا المعيار الثالث فيتوجّه له الإشكال عينه الذي وُجِّه للمعيار الثاني؛ لأنّ المعيار الذي تقوم على أساسه العلوم الإنسانية المعاصرة بالتغيير في التراث غير معروف. فوجهة النظر هذه أو أي وجهة نظر أخرى غيرها في باب النسبة بينهما لا بدّ أن تُؤسِّس لنظرية خاصّة تبيِّن طريقة التعامل بين العلمين القديم والحديث بشكل واضح، ومع الأسف، فإنّ نظرية الفاروقي فاقدة لهذا الأمر.

وأمّا مشكلة المعيار في الخطوة العاشرة والمتمثّلة في أسلمة العلوم، والتي طُرِحَت تحت عنوان التجزئة والتحليل الإبداعي والخلّاق، فإنّه من الممكن أن يكون الظاهر في مصلحة الأمّـة، ولكنّه لا يحمل في طياته الحقّ أو بالعكس، فيكون الأمر حقّ، ولكنّه لا يحمل في طياته الكفاية اللازمة لحلّ مشكلات المسلمين. وفي هذه الحالة ماذا ينبغي أن نفعل، وما هو المعيار في الاختيار؟! ولمَ يقدِّم لنا الفاروقي أيّ حلول في هذا المجال.

ج- ومن نقاط الضعف الأخرى أنّه جعل نظريّته على أساس البارادايم الغربي، ولو أنّه، وعوضاً عن اعتماده على النظام الغربي، أسّس لمفهوم جديد من العلم على أساس نظريّات المفكّرين الإسلاميين كالفارابي؛ - لا الغزالي ولا ابن تيمية- في ترتيب العلوم، وبذل جهداً في ذلك؛ فإنّ احتمالات نجاح نظريّته كانت ستكون أقوى، والآن، وبعد مرور٣٠ سنة من بدء هذا المشروع واستمراره من خلال آراء عبد الحميد أبو سليمان، وطه جابر العلواني، وآخرين كُثُر. أضف إلـى ذلك إقامة المؤتمرات المتعدّدة وتأسيس (جامعة ماليزيا الإسلامية العالمية)، وبعدها (المعهد العالمي للفكر الإسلامي) في أمريكا، وإصدار المؤلّفات، ونشاطات أخرى تستحقّ التقدير في

هذا المجال، ومع ذلك لا نجد متوناً مناسبة وكافية في هذا المجال، والكثير من المباحث بقيت على مستوى الكلّيّات.

والذي يصل إليه المرء هو أنّ هناك مشكلة يعاني منها الفاروقي تتمثّل في اعتناقه المنهج السلفي والأشعري، وعدم معرفته الدقيقة بالعلوم العقلية العميقة في الفكر الإسلامي، وما تحمله تلك العلوم من معارف.

## خاتمة:

إنّ الفاروقي من المؤسّسين لموضوع أسلمة العلوم الإنسانية المعاصرة، وقد بيَّن مشروعه بشكل مرتَّب وشفاف. ومشروعه وإن كانت فيه خصائص مهمّة، فإنّ فيه نقاط ضعف كثيرة سواء لجهة الأصول والمباني الفكرية أم لجهة طرق الحلّ وكيفية التطبيق. وقد أشير إلى هذه المطالب في هذه المقالة. ومن وجهة نظرنا: إنّه لو عُمِلَ على رفع النواقص ونقاط الضعف؛ وبعبارة أخرى: إعادة بنائها وتكميلها، ففي تلك الحالة يمكن أن تكون طريقاً لأسلمة العلوم الإسلاميّة.